رَوائِع تُراث الزَّيدِيّة

كِتَاب الرُّؤْيا

للإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العَياني
عليهما السّلام (ت ٤٠٤ هـ)

مُنتزع من مَجمُوع كُتُبه ورسائِله

تحقيق
إبراهيم يحيى الدّرسي

منشورات مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية

كتاب الرؤيا[1]

وقال -عَلَيْه السَّلام- في كتاب الرؤيا:

إن سأل سائل فقال: هل الله في الأماكن بذاته أم هو في الأشياء بعلمه وإحاطته..إلى قوله في الجواب: وإنما معنى قولنا إنه في الأشياء، نريد بذلك أنه مدبر في الأرض والسماء، وفيما بينهما من الأحوال، لم ينقطع من الأماكن تدبيره، و لم يعدم فعله وتقديره، وإدراكه للأشياء فهو علمه بها، وعلمه فهو قدرته عليها.

فأما من زعم أنه عالم قادر و لم يقل إن العلم والقدرة هما الذات، وكذلك ما وافقهما من الصفات، فقد جهل حقيقة العلم لتناقض قوله، ونفى إدراكه للمعلومات بجهله، وبلغ الغاية في مكابرة عقله؛ لأنه قد أقر لله بإدراك معلوماته، إذ الدرك من أكرم صفاته، والدرك حق عند جميع ذوي الألباب ، وليس شيء غير الله رب الأرباب.

لأن الدرك يخرج على وجهين؛ فدرك من صفات المخلوقين، ودرك هو من صفات رب العالمين.

فأما إدراك العباد: فهو علمهم، وعلم العباد متعلق بهم، وهو ما ركب الله من عقولهم، وجمع بينه وبين أجسامهم، وكذلك علم حواسهم وأوهامهم.

وأما علم الله فهو ذاته، وكذلك قدرته وحياته، لأن علمه لو كان سواه لكان مجموعاً إليه، ولكان له جامع فطره عليه، ألا ترى أن من قال إنه عالم ثم قال لا علم له، فقد نقض بأبين البيان قوله، وإنما أنكروا ذلك بجهلهم، وضعف تمييزهم وعقولهم، وقد علم الله سبحانه ذلك منهم، فلم يكلهم إلى أنفسهم، بل أمرهم باتباع آل نبيهم، وسبيل هدايتهم ونجاتهم.

[هل الإنسان عقله أم جوارحه]

---

[1] - هذا الكتاب من النسخة (ج)، ويظهر منه أنه إنما نقل عن أصل كتاب الرؤيا، ولكن لم نعثر على نسخة أخرى لتكمل النقص.

وسألت يا أخي -وفقنا الله وإياك لطاعته، وأعاننا على اتباع مرضاته- عن الإنسان المخاطب المأمور، المتعبد في جميع الأمور، المكافأ على البر والفجور، أهو العقل أم الجوارح؟

والجواب في ذلك: أن العقل حجة تعبد الله الخلق بعد كمالها، وأثاب وعاقب البرية بفعالها.

فأما العقل فلا يقع عليه الثواب والعقاب، وإنما هو شاهد على الخطأ والصواب، وإنما يقع الثواب والعقاب على الجسم والروح إذا اجتمعا، وعلى الروح وحده وإن لم يكونا معا؛ فأما الجسم الموات فلا يعقل إذا فارقته الحياة.

[ما هي الرؤيا؟ وهل هي من الله؟ وهل تصح من الشيطان]

وسألت -تولى الله حفظك، ووفر في الثواب الجزيل حظك- عن الرؤيا التي يراها المؤمنون والكافرون، وكيف تلتقي الأرواح، وهل تكون الرؤيا شيء ليس من الله سبحانه؟ وهل يصح من الرؤيا ما هو من الشيطان؟

فذكر في الجواب: أن الرؤيا من الله وحده؛ لأن الرؤيا إنما تكون عند خروج الأنفس مع الأرواح، وخروج الأنفس من القلوب، فلا يتم إلا لعلام الغيوب.

والروح فهو خلق لطيف حجب الله فهمه، ولا سبيل إلى علم ما أخفى الله علمه، وإلا فأين من يفهم كيفية خروجه، ورجوعه في البدن وولوجه، وكيف خرجت الأنفس والعقول معه من الأجساد؟ وأين مخرجه من أجسام العباد؟ وكيف لا يعقل الروح نفسه عند هجوم المنام؟ وكيف يرجى ويترك في جميع الأنام؟ حتى لا يعقل في أكثر الليالي والأيام؟! وما جعل الله سبحانه من حياة الأرواح وكمالها، وتوصيل جوارحها واعتدالها، فلا يتم إلا بلطف مدبرها وجاعلها، ومفتطرها وفاعلها، لما فيها من صنعه وتدبيره، وبيان حكمته وتصويره.

وأما الريا التي يراها المخلوقون، ويفهمها المؤمنون والكافرون: فهي أخبار من الله وكرامة للصالحين، وحجة على الظلمة الفاسقين، لأن إعلامه لهم بالحوادث قبل كونها،

دليل على علم المخبر بها، ولأولياء الله وأصفيائه من عجائب الرؤيا ما ليس لأعدائه ، وذلك خاصة منه لهم ، وإجابة لدعواتهم عند سؤالهم.

وأما غير ذلك من رؤيا السرور، ومكاره ما يرى النائم من الأمور، فمنها ما يحتمل التأويل، ومنه ما هو كائن على ما يراه النائم في المنام، وذلك بإعلام الله ذي الجلال والإكرام، ولا يصح الخبر بالشيء في حال عدمه، إلا من عالم أحاط به قبل كونه، لأنه لو كان جاهلاً به لما علمه قبل حدوثه، وفي هذا دلالة على الله رب العالمين، وحكمة تفضل بها على المخلوقين.

وأما ما روي عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله الطاهرين- من قوله: ((إن الحلم من الشيطان)) فإنما أراد بذلك أن الله سبحانه أطلع العباد في المنام على أفعال الشياطين ليجتنبوها، وليتعوذوا بالله منها ولا يقربوها، لأنها لا تضر من أخلص التوبة إليه من أفعالهم، واستعاذ به من سوء أعمالهم[1].

* * * * * * *

---

(1) - ذهب الإمام -عَلَيْه السّلام- أن الرؤيا كلها من الله سواء أكانت رؤيا سرور أم مكاره أو رؤيا مؤمن أم كافر وفاسق ، والذي يظهر والله أعلم أن الرؤيا التي من الله هي الرؤيا الصالحة من المؤمن، أو التي يراها المؤمن لأخيه المؤمن ، بدليل ما سيذكره الإمام من بعد من رواية الهادي -عَلَيْه السّلام- : ((الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)) ، ((الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)) .

ولا مانع من تمكن الشياطين من التلاعب بخيالات النائمين ولا بعد في ذلك فقد يتحدث المتحدثون عند النائم فيرى حديثهم في نومه على صورة الرؤيا .

وعلى هذا فقد تأتي الشياطين فيتحدثون عند أذن النائم فيتصور له حديث الشياطين بصورة الرؤيا، وبمعرفة هذا يمكننا تفسير الحديث الآتي : ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان)) . تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

وقال -عَلَيْه السَّلام- في كتاب[1]:

الرد على من أنكر الوحي بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين

فليس يدعي النبوة إلا كاذب في المقال، متكمه في الضلال؛ لأن الله ختم بـه نبوتـه، وأكمل به حجته؛ فلما قبضه الله إليه، واختار له ما لديه، خلفه في أمته بأخيه وذريتـه، وجعلهم هداة بريته، فهم خلفاء الله في خلقه وأمناؤه على وحيـه، لا يسـلم أحـد إلا بولايتهم، ولا يهلك إلا بعداوتهم؛ فنعوذ بالله من الهلكـة في الديـن، واتبـاع مـردة الشياطين، فقد جهل الحق من جهلهم، وعادى الله من جهل فضلهـم، إذ هـم فـرع الرسول، وسلالة البتول، وخيرة الواحد الجليل.

وليعلم من سمع قولنا، وفهم تأويلنا، أن الوحي الذي ذكرنا فيما تقدم من كلامنا أن الله ختمه بنبينا هو هبوط الملائكة وما كان يسمع موسى من المخاطبة، فذلك الذي ختمه الله وقطعه بعد محمد -صلوات الله عليه- لأنه علم أنه أفضل الآدميين، ففرق بينه وبـين أهل بيته أجمعين، بأن جعلهم له تابعين، وبشريعته مقتدين، ولو علم في ذريته أفضل منـه لأزاح ختم النبوة عنه، ولجعل بعده أمناء مثله، ولما أبان على فضلهم فضله.

[أقسام الوحي]

والوحي فهو على أوجه معدودة، وأسباب محدودة؛

فمنه: ما يكون على ألسن الملائكة المقربين.

ومنه: ما يخلق في أسماع المرسلين.

ومنه: ما يقذف في القلوب.

ومنه: ما يرى في المنام، وكل ذلك لا يتهيأ إلا لذي الجلال والإكرام.

وأما الوحي فإنما يسمى وحياً، لأنه شيء خفي لا يسمعه إلا الموحى إليه، ولا يطلـع أحد سواه عليه، لأنه سر من أسرار الحكمة، وكرامة من أجل النعمة، ولطف من أحسن

(١) من النسخة (ج) وهو أيضاً لم نعثر على نسخة كاملة له لتكميل النصوص.